228 - ـ فصل : عناد الكافرين .

طال تعجبي من أقوام لهم أنفة و عندهم كبر زائدة في الحد .

خصوصا العرب الذين من كلمة ينفرون و يحاربون و يرضون بالقتل حتى إن قوما منهم أدركوا الإسلام فقالوا : كيف نركع و نسجد فتعلونا أستاهنا ؟ .

فقال رسول ا صلى ا عليه و سلم : [لا خير في دين ليس في ركوع و لا سجود] .

و قد كان قوم يعبدون الخيل و البقر و إن هؤلاء لأخس من إبليس أنف لإدعائه الكمال أن يسجد لناقص فقال : { أنا خير منه } و فرعون أنف أن يعبد شيئا أصلا .

فالعجب ذل هؤلاء المفتخرين المتعاظمين المتكبرين لحجر أو خشبة .

و إنما ينبغي أن يذل الناقص للكاملين و قد أشير إلى هذا في ذم الأصنام في قوله تعالى : { ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها } .

و المعنى : أنتم لكم هذه الآلات المدركة و هم ليس لهم فكيف بعد الكامل الناقص ؟ .

غير أن هوى القوم في متابعة الأسلاف و استحلاء ما اخترعوه بآرائهم غطى على العقول فلم تتأمل حقائق الأمور .

ثم غطى الحسد على أقوام فتركوا الحق و قد عرفوه .

فأمية بن أبي الصلت يقر برسول ا صلى ا عليه و سلم و يقصده ليؤمن به ثم يعود فيقول : لا أؤمن برسول ليس من ثقيف .

و أبو جهل يقول : و ا ما كذب محمد قط و لكن إذا كانت السدانة و الحجابة في بني هاسم ثم النبوة فما بقي لنا ؟ .

و أبو طالب يرى المعجزات و يقول : إن لأعلم أنك على الحق و لولا أن تعيرني نساء قريش لأقررت بها عينك .

فتعوذ با من ظلمة حسد و غيابة كبر و حماقة هوى يغطي على نور العقل .

و نسأله إلهام الرشد و العمل بمقتضى الحق